

حليبة في الشعر العربي مأساة الذاكرة
وذاكرة المأساة

Koyauniversity.org

FEDU.SE198757

ندوة بعنوان

حليجة في الشعر العربي مأساة الذاكرة
وذاكرة المأساة

إعداد: أ.م.ديياء عبد الرزاق أيوب

حلبجة في الشعر العربي مأساة الذاكرة وذاكرة المأساة



محاور الحلقة الدراسية

مدخل الى شعرية المدينة والمأساة في الشعر العربي

- حلبة ذاكرة الوجد

- حلبة وتجسيد المعاناة

- حلبة الصمود والتحدى

أولاً: مدخل الى شعرية المدينة والمأساة في الشعر العربي

• إنَّ بكاء المدن " تعبير حي عن حسِّ شعري مأساوي بتاريخ الفجيرة الحضارية عبر مشاهد الفتنة والموت والحصار والخراب والضياع والاحتلال، التي عرَّها إنَّ بكاء المدن " تعبير حي عن حسِّ شعري مأساوي بتاريخ الفجيرة الحضارية عبر مشاهد الفتنة والموت والحصار والخراب والضياع والاحتلال، التي عرفتها الحضارة العربية، واختزلتها القصائد في دموع وآهات وذكريات وأحلام وإيقاع حزين.

المبحث الأول: حليجة ذاكرة الوجود

• والمقصود بالذاكرة "ما كتبه الشعراء لتخليد مآثر المدن وورثاء أطلالها، واسترجاع ماضيها، أو عبروا عنه في غربتهم عن الوطن، وحنينهم اليه، هو الشعر الذي حاول أن يبقى وفيا للمدينة في تاريخها العام والخاص.

المبحث الأول: حلبجة ذاكرة الوجد

هذي حلبجة للشاعر عبد الستار نور علي

هذي حلبجةُ في المدى أخبارها
وتعيدُ قصةَ ذبحها وحريقها
إنّ المواجهَ لم تزلْ تسري على
هذي حلبجةُ جرحها لا ينتهي
لنتثيرَ في هممِ النفوسِ شرارها
صوراً من الحقدِ اللئيمِ شيفارها
دمنا شموعاً نقتفي أنوارها
أبدَ الدهورِ ولا يذوبُ أوارها
عرق الترابِ سقايةً أمطارها
ستظلُّ ملحمةَ الدماءِ تسيلُ في

المبحث الأول: حلبجة ذاكرة الوجد

• وسعى الشعراء مرّة أخرى إلى ترسيخ فجيعة حلبجة في الذاكرة الجمعية من خلال المقارنة بين ماضي هذه المدينة وحاضرها، يقول الشاعر فائز العراقي (ناهض حسن) في قصيدته (صورتان لحلبجة):

المبحث الأول: حلبجة ذاكرة الوجد

تستيقظ حلبجه في الصباح....تغتسل في مياه الينابيع
وتفرد جدائل الشمس شرائط ذهبية لصباياها
يباغتها الوقت الرمادي....تهرب مذعورة لمغاور الجنون
تعد ضحاياها واحداً واحدا
وتتنشج خائرة في وهاد الصمت
حلبجه ... حلبجه مدينة من أشلاء ودخان
تنزف أصابع أطفالها ... اساور للأفق البعيد

المبحث الثاني: حلبجة وتجسيد المعاناة

إنَّ صوت الموت وصورة الخراب، كانا حاضرين دائماً بوفاء
في تأليف المشهد التراجيدي عند الشعراء الذين صوروا مأساة
مدينة حلبجة.

المبحث الثاني: حُبجة وتجسيد المعاناة

يقول الشاعر محمود البريكان في قصيدته (مدينة خالية) :

في بعض أسفاري / دخلتها مدينة صامته

خالية من أثر الأحياء / أبوابها مغلقة

ساحاتها تلعب فيها الريح / لكنّ أضواءً شبابيكها

تسطع طول الليل / من يضغط الأزرار؟

رأيت في الحدائق الأزهار / مائلة الأعناق

وملعب الأطفال محطما / قرعت أبوابا...

وناديت... تُرى ماتوا جميعا؟ رحلوا؟ تحولوا بأيّ سحرٍ _ كائنات غير مرئية

المبحث الثاني: حُبجة وتجسيد المعاناة

يقول الشاعر العراقي بلند الحيدري في قصيدته (لكي لا ننسى):

وإذ كانت عيون صغارك يا بيتي يا بلدي

تسبح في ألق الشمس

وتطل في كل زهيرات النرجس والورد

هبت ريح مسمومة... نفتتها عينا بومه

لتسم كل صغارها يا بيتي .. يا بلدي

المبحث الثاني: حليجة وتجسيد المعاناة

قتلت فيمن قتلت... ولدي

سرقتم فيمن سرقتم .. ظلي

الدرج لبيتي أمسي مقبرة تمتد لألفي مقبرة

في كردستان لا شيء سوى الموت وظل الموت

ما من نرجسة تحلم ان تكبر في البستان

ما ترك الأوغاد

- ولا تتفكُّ صور الطفولة المعبَّدة تطالعنا في قصائد الشعراء وهم يجسِّدون معاناة حلبجة، هذه الطفولة التي لم تجد مهرباً من الحرب، وهي في حقيقتها غصّة طريّة لاتقوى على سعيها.

المبحث الثاني: حُبجة وتجسيد المعاناة

يقول الشاعر العراقي عمانوئيل كمنو:

سلوا الآباء إذ حضنت بنيتها ترد الغاز عنها تفتديها
سلوها كيف هب الموت ريحاً ومارحم الطفولة قاتلونها

المبحث الثاني: حلبجة وتجسيد المعاناة

لقد عمل الشعراء على استحضار صورة الحرب عن طريق حديثهم عن الأسلحة، وفعلها في الأماكن، وأثرها على قمع الإنسان، فقد كشفوا النُّقاب عن صورة أسلحة الحرب، وسلطوا الضوء عليها، فهي لا تترك مدينة حلبجة إلا دمرتها وأضرمت النار وأحدثت الخراب فيها، فكانت مقصدية الشَّاعر من إكثاره من الحديث عن الأسلحة لتوصيل فجيعة الحرب، فهذه الأسلحة هي أدواتها التي تقتل، وهي التي تُجسِّد حجم الفجيعة التي يستقبلها الإنسان في زمن الحرب، وكان غاز الخردل حاضرا في معظم القصائد التي كشفت عن الجريمة البشعة التي حلَّت بمدينة حلبجة

المبحث الثاني: حليجة وتجسيد المعاناة

يقول الشاعر العراقي سعدي يوسف:

الغيوم التي هبطت خردلاً أسوداً في الرئات

الغيوم التي ربطت عقدة الموت حول الصباح

الغيوم التي خثرت دم أطفالنا

والغيوم التي خمرت خبز ابليس في حدقات الاصيل

هل تراها ستعبر من غيضة السرو حتى تمس النخيل؟

المبحث الثاني: حلبة وتجسيد المعاناة

• وقد تبرز عدد من النصوص الشعرية الجانب الإعلامي الذي ينقل قضية حلبة إلى العالم، وذلك بعرض الحقائق، ورفض الظلم الواقع على هذه المدينة، إذ يكشف الشاعر بشاعة الفعل، وتجاهل العالم لما حل بهذه المدينة من جريمة بشعة

يقول الشاعر العراقي عبد الاله الصائغ في قصيدته (حلبجة أميرة المدن):

وانت يا حلبجة يا كعبة الحرية

تتلفتين باحثة عن كلمة طيبة تقال فيك

قائلة : الأنى كوردية عليّ ان احتمل العذاب

الأنى طاهرة تركتموني لرحمة النجسين

ايها العالم لماذا يستفرك مقتل باندا في الصين

ولا يستفرك خمسة آلاف ملاك قضوا في دقائق

وهم لا يعرفون تحديدا جريرتهم

المبحث الثالث/ حلبجة الصمود والتحدي

• عكس الشعر العربي المعاصر في نصوصه الشعرية بعداً
مقاوماً، كشفت عنه صور الصمود التي يحيها الشعب الكوردي
برغم الدمار والخراب الذي حل بمدينته حلبجة، إذ تحمل هذه
الصور حالة تحفيز مستمرة لفعل المقاومة والتحدي، ولعل هذه
المقاومة ولّدت عند الشاعر شعوراً غائراً بالظلم، واحساساً عنيفاً
بالقهر

المبحث الثالث/ حليجة الصمود والتحدي

يقول الشاعر رمزي عقراوي:

فحيّوا ثورتها... وحيّوا كفاحها...

وما استسلمت أبدا للظلم المميت

ولا خفضت يوما جناحها للذل المقيت

وقد قطف الجنة... أرواح أبنائها الأبرياء

فزكت (حليجة الشهيدة)

المبحث الثالث/ حليجة الصوم والتحدي

وأمرتِ النضالَ

بسقي شعبيها الدماءَ الطاهرات

فالكوردُ زحفوا...

بلقيا الموت رغم عبوسه

لأنهم قد أدركوا (فجر الصباح)

المبحث الثالث/ حليجة الصمود والتحدي

تجلت في هذه المدينة أهم سمة انسانية، وهي قوة الارادة وتحدي الواقع الأليم، فهي لم تستسلم للظلم المميت، ولم تذلل وتستكين، ومما عمق من دلالة صورة الصمود والتحدي التناص القرآني في قول الشاعر (ولا خفضت يوما جناحها للذل المقيت)، وفي ذلك تناص مع قوله تعالى: " وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا" ، والتناص هنا يقدم خدمة شعريّة من خلال الإزاحة، فالمفروض أن يكون الخافض الابن أمام الأبوين ، لكنّ الشاعر يقدم المدينة خافضاً أمام الجناة، وهذه الاستعارة المكنية تمنح النص طلاوة، ففي سياق الآية القرآنية " أضيف الجناح إلى ما ليس له وهو الذل، فقد ساهمت هذه الإضافة في إبراز الذل في صورة طائر يخفض جناحه تواضعا وتذللاً، وهو ما يتناسب مع الأمر باللين والتواضع والتذلل في معاملة الوالدين" ، ولكن الشاعر أزاح دلالة هذه الاضافة ليبرز صورة الإباء والشموخ والتحدي لمدينة حليجة.

المبحث الرابع: حليجة بين الواقع والحلم

لجأت الذات الشاعرة في الأشعار التي صوّرت مأساة حليجة إلى الحلمية، كي تضع حداً لمسار الحدث الواقعي الموجه، ولتضع بذلك بدايةً لنهايةً مأساوية، علّها ترسم ملامح أخرى، فالذات الشاعرة الجريحة تدرك حقيقة الحلم ادراكاً لا يجعلها تنساق وراءه أو تستمتع بدفعه، إذ يمدُّ الحلم شخصية (البطل = المدينة) بشحنة كبيرة من القدرة على التماسك والثبات، لدرجة أنه أصبح قراءة واعية لواقع الشخصية، وبذلك لا يكون الشاعر منفصلاً أو مبتعداً عن الواقع "فالانتقال إلى مسافة الحلم في مثل هذه الحالة، يعطي الشاعر شحنة من التوافق

:المبحث الرابع: حليجة بين الواقع والحلم

مع القادم من جهة، وقدرة كبيرة لتحمل الصعوبات الآنية والضغطات المستمرة في مثل هذا الخط من التعلق بكل مساحة الضوء المقبلة، يفتح الشاعر العين والقلب والإحساسات لتكون في وقع جديد يستطيع أن يثبت ويصمد ويقاوم". إنَّ حلم الشاعر ليس حلم الغيبوبة والوهم، بل هو حلم البطل، الحلم/الثورة، الحلم الذي يدرك بوعي تام مدى قتامة الواقع وجهامته.

ولكنه يزداد اصرارا مع هذا الوعي على أن يرسل شعاع الأمل والتفاؤل، ليخترق كتلة الظلام واليأس، ليعانق توق الوجود إلى الحلم بواقع أكثر اشراقا، بذلك تتسم رؤية الشاعر ويبقى هذا المفهوم الإيجابي للحلم هو الإطار لرؤيته الحالمة، ويمكن للقارئ أن يلمح بوضوح أن الوجدان الوطني يمثل مكوناً أساسياً من مكونات البطل الحالم

:المبحث الرابع: حلبجة بين الواقع والحلم

يقول الدكتور محمد حسين آل ياسين في قصيدته (کردستان):

هُوَ مِئِّي حَلْمٌ يَجُولُ وَإِنِّي
منهُ جَفَنٌ يَضْمُهُ حِينَ جَالَا
دُمُكَ الْحَرُّ رَغَمَ أَنْفِ الْمَنَايَا
أَنْجَبَ الْعِزَّ وَالْمَنَايَا حُبَالِي
هَلْ دَرَى اللَّيْلُ أَيَّ صَبْحٍ شَذِيٍّ
أَطْلُقُ الْجَرْحُ شَمْسَهُ حِينَ سَالَا
أَمْ دَرَى الْغَيْهَبُ الْمَكْلَلُ أَنَّ
التَّصْبِرُ يَنْمُو فِي كُلِّ شَبْرٍ هَلَالَا
كَيْفَ خَفَّتْ إِلَى الْحَتُوفِ فِدَاةٌ
حَمَلَتْ أَرْضَهَا هَمُومًا ثَقَالَا
كَيْفَ أَطْلَعْتَ مِنْ حَلْبِجَةِ غَصْنَا
مَدَّ فِي فِي كَرْبَلَاءِ جِذْرَا فِطَالَا

مَشْرِئاً بِالظُّلْمِ الْحَقْلَاءِ مِنَ الْخَصْبِ
وَكَيْفُ الْحَسْبِ تَحْتِ الْغَلَالَا

النتائج

- لم تستسلم القصيدة التي صوّرت فاجعة مدينة حلبجة لشروطها التاريخية والجمالية والشعرية، وتطمئن لنفس المُتخيّل المكتسب سابقاً، بل سعت للحفر في التضاريس الوعرة للغة والمتخيل، بحثاً عن ينبوع جديدة تغدّي رؤية الممارسة النصية، وذلك عن طريق الركون إلى الذاكرة الجمعية لتشكيل صور غير مألوفة عن هذه المدينة، وقد سعى الشعراء إلى ترسيخ فجيعة هذه المدينة في الذاكرة الجمعية عن طريق المقارنة بين ماضيها وحاضرها، إذ يظهر الألم جلياً، حين تُقارن بين حلبجة قبل القصف وبعده، حينما كانت موقلاً للجمال، وبين صورتها الحاضرة إذ صارت خراباً ودماراً.

النتائج

جسدت القصيدة التي صورت مدينة حلبجة معاناة هذه المدينة، وقد تشكل هذا البعد في جوانب مختلفة، تنطلق من معاناة القتل الذي يحياه الكرد، مما جعل الشاعر يردد إلى عالمه الداخلي المفعم بمشاعر التمزق والحزن، بعدما عانى من آلام التنكيل بالأهل، فكان شعره صوتاً متفجعاً، ولذلك فإنَّ صوت الموت وصورة الخراب، كانا حاضرين دائماً بوفاء في تأليف المشهد التراجيدي عند الشعراء الذين صوروا مأساة مدينة حلبجة، فهذه المأساة استوقفت الشاعر العربي عنوة وسقته مرارة الإحساس ما يؤلم نفسه، ويثري رصيده المتضخم من المحن والإحباطات.

النتائج

- ولا تنفكُ صور الطفولة المعدّبة تطالعنا في قصائد الشعراء وهم يجسّدون معاناة حلبجة، هذه الطفولة التي لم تجد مهرباً من الحرب، وهي في حقيقتها غصّةً طريّةً لاتقوى على سعيها، وكلُّ هذا وذاك يصبُّ في إظهار ظلم العدوان وهمجيته، إذ فضح لنا همجيّة هذا العدوان التي لا تمتلك أخلاق المحاربين، فهي تسعى إلى استلاب الطفولة وإيذائها، وفي ذلك قتل للبراءة وابادة النسل وهدم الأجيال.

لقد عمل الشعراء على استحضار صورة الحرب عن طريق حديثهم عن الأسلحة، وفعلها في الأماكن، وأثرها على قمع الإنسان، فقد كشفوا النّقاب عن صورة أسلحة الحرب، وسلّطوا الضّوء عليها، فهي لاتترك مدينة حلبجة إلا دمرتها وأضرمت النار وأحدثت الخراب فيها.

النتائج

- برز في عدد من النصوص الشعرية الجانب الإعلامي الذي ينقل قضية حلبجة إلى العالم، وذلك بعرض الحقائق، ورفض الظلم الواقع على هذه المدينة، إذ يكشف الشاعر بشاعة الفعل، وتجاهل العالم لما حل بهذه المدينة من جريمة بشعة، فالشاعر يصب خيبة أمله فيمن تخاذل وتهاون، وكأنه يتساءل، ماذا يقول لخمسة آلاف شهيد قضاوا نحبهم وهم لا يعرفون ما هي جريرته.

النتائج

- تنتفض الأنا الشعرية لتقوم بدورها التحفيزي، في ظل حالة عدم الاكتراث والاستخاف التي يبديها من كانوا سببا بما حلَّ بهذه المدينة المنكوبة من عذاب ودمار، وبرغم جهامة الواقع وقسوته، وبرغم المعاناة، فإنَّ خطاب الشاعر لا يركن إلى اليأس والاستسلام، بل يتَّسم بالتحدي والمواجهة.
- عكس الشعر العربي المعاصر في نصوصه الشعرية بعداً مقاوماً، كشفت عنه صور الصمود التي يحيهاها الشعب الكوردي برغم الدمار والخراب الذي حل بمدينته حلبجة، إذ تحمل هذه الصور حالة تحفيز مستمرة لفعل المقاومة والتحدي، ولعل هذه المقاومة ولّدت عند الشاعر شعورا غائرا بالظلم، واحساسا عنيفا بالقه.

النتائج

- لجأت الذات الشاعرة إلى الحلمية كي تضع حداً لمسار الحدث الواقعي الموجه، ولتضع بذلك بدايةً لنهايةً مأساوية، علها ترسم ملامح أخرى، إذ يمدُّ الحلم شخصية البطل بشحنة كبيرة من القدرة على التماسك والثبات.